أحلام تغيير خريطة المنطقة

لم يكن متوقعاً أن تكون الحرب العراقية مستنقعاً مُكْلفاً. بل وكانت مصمَّمة لتكون الخطوة الأولى في مخطط أكبر لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط. شكلت هذه الاستراتيجية الطموحة افتراقاً مثيراً عن السياسة الأمريكية السابقة، وكان كل من اللوبي وإسرائيل قوتي الدفع الحاسمتين وراء هذا الانقلاب. هذه النقطة أُعلنت صراحة بعد اندلاع الحرب العراقية في مادة صفحة أولى بجريدة الوول ستريت جورنال. يبوح العنوان بكل شيء: "حلم الرئيس: تغيير لا النظام فقط بل المنطقة: خلق منطقة ديمقراطية موالية لأمريكا هدفٌ ذو جذور ممتدة إلى إسرائيل والمحافظين الجدد"[1].

طالما كانت القوى الموالية لإسرائيل حريصة على توريط الجيش الأمريكي على نحو أكثر مباشرة في الشرق الأوسط

1 – روبرت إس. غرينبرغر وكاربي لَغَت، "حلم الرئيس تغيير منطقة لا نظام فقط: إيجاد منطقة ديمقراطية موالية للولايات المتحدة هدف ذو جذور إسرائيلية ومحافظة جديدة،" وول ستريت جورنال 2003/3/21. انظر أيضاً جورج باكّر "الحلم بالديمقراطية،" نيويورك تايمز ماغازين 2003/3/2. مع أن جميع المحافظين الجدد ليسوا يهوداً، فإن جُلَّ المؤسسين كانوا متطرفي الدعم لإسرائيل. يقول غال بكرمان في الفورورد "إذا كان اليهود قادرين على ادعاء احتكار اختراع أي حركة ثقافية ـ فكرية في أمريكا، فإن هذه الحركة هي حركة المحافظين الجدد". انظر "عقيدة المحافظين الجدد،" فورورد 2006/1/6.

ليصبح قادراً على المساهمة في حماية إسرائيل[1]. غير أن نجاح هؤلاء، على هذا الصعيد، بقي محدوداً خلال الحرب الباردة، لأن أمريكا درجت على الاضطلاع بدور "عامل التوازن القابع فيما وراء البحار" بالنسبة إلى المنطقة. أكثرية القوات الأمريكية المخصصة للشرق الأوسط كانت تبقى "خلف الأفق"، في منأى عن متناول الأذى. نجحت واشنطن في الحفاظ على توازن ملائم للقوة عبر تحريك بعض القوى المحلية ضد بعضها الآخر، الأمر الذي جعل إدارة ريغان تقف في صف صدام ضد إيران الثورية خلال الحرب الإيرانية - العراقية (1980 - 1988).

هذه السياسة تغيرت بعد حرب الخليج، حين أقدمت إدارة كلنتون على اعتماد استراتيجية "الاحتواء المزدوج. دعت الاستراتيجية إلى نشر قوات أمريكية ذات شأن في المنطقة لاحتواء كل من إيران والعراق بدلاً من توظيف الأولى لِلَجمْ الثاني. وأبو الاحتواء المزدوج لم يكن غير مارتن إنديك الذي وضع الاستراتيجية للمرة الأولى في أيار/مايو 1993 في معهد الوينب WINEP (وهو مركز أبحاث موالي لإسرائيل)، ومن ثم قام بتطبيقها بوصفه مديراً لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا في مجلس الأمن القومي[2].

1 - انظر، مثلاً، إعادة بناء دفاعات أمريكا: الاستراتيجية، القوات والموارد لقرن جديد، تقرير للقرن الأمريكي الجديد، أيلول/سبتمبر 2000، ص: 14.

2 - مارتن انديك، "مقاربة إدارة كلنتون للشرق الأوسط،" محاضرة في ندوة سورف، معهد واشنطن لسياسية الشرق الأدنى 1993/5/18. انظر أيضاً أنتوني ليك، "مجابهة دول رجعية،" فورين أفيرز، 2/73 (آذار/مارس - نيسان/أبريل 1994)، ص: 45 -53 .

كان هناك قدر غير قليل من عدم الاقتناع بالاحتواء المزدوج أواسط تسعينيات القرن العشرين لأنه قام على جعل الولايات المتحدة عدواً لدوداً لبلدين يكره كل منهما الآخر أيضاً، وعلى إلزام واشنطن بحمل وِزْر احتوائهما كليهما[1]. من غير المدهش أن اللوبي بذل جهوداً حثيثة في الكونغرس لإنقاذ الاحتواء المزدوج[2]. وبضغط من الآيباك مع قوى أخرى موالية لإسرائيل، قام كلنتون بشد أسس هذه السياسة في ربيع 1995 عبر فرض حصار اقتصادي على إيران. غير أن الآيباك ومن معه طالبوا بالمزيد. تمثلت النتيجة بقانون عقوبات إيران وليبيا لعام 1996، ذلك القانون الذي فرض حظراً على أي شركات أجنبية تستثمر ما يزيد على 40 مليوناً من الدولارات لتطوير الموارد النفطية في إيران أو ليبيا. وقد لاحظ المراسل العسكري لجريدة هآرتس زئيف شيف آنذاك أن "إسرائيل ليست إلا عنصراً صغيراً في مخطط كبير، غير أن على المرء ألا يستنتج بأنها لا تستطيع التأثير في من هم داخل الحزام"[3].

1 – باربارة كونري، "سياسة الاحتواء المزدوج الأمريكية المضللة في الخليج،" إيجاز سياسة خارجية عدد 33، معهد كاتو، 1994/11/10؛ غريغوري إف. غوز الثالث، "لا منطق الاحتواء المزدوج،" فورين أفيرز، 2/73 (آذار/مارس - نيسان/أبريل 1994)، ص: 56 –66 ؛ زبغنيو بريجنسكي وبُرَنْت سكوكروفت، احتواء متمايز: سياسة الولايات المتحدة إزاء إيران والعراق، تقرير فريق دراسة مستقل عن استقرار الخليج وأمنه، مجلس العلاقات الخارجية، نيويورك، 1997.

2 – بريجنسكي وسكوكروفت، احتواء متمايز، ص: 6.

3 – المصدر السابق، ص: 130.

أما مع حلول أواخر التسعينيات فقد بات المحافظون الجدد يجادلون مؤكدين أن الاحتواء المزدوج لم يكن كافياً ولابد من اعتماد أسلوب تغيير النظام في العراق الآن. زعموا أن من شأن إطاحة صدام وقلب العراق إلى بلد ديمقراطي مفعم بالحيوية، أن يمكِّن الولايات المتحدة من إطلاق عملية تغيير بعيدة المدى على امتداد الشرق الأوسط. وبالطبع فإن خط التفكير هذا تجلى في دراسة "الحاسمة" التي وضعها المحافظون الجدد لنتنياهو. وعند حلول عام 2002، حين أصبح غزو العراق على نار حامية، كان تغيير خارطة المنطقة قد أصبح موضوع إيمان بالنسبة إلى أوساط المحافظين الجدد[1].

1 – لاحظت إحدى افتتاحيات الجيروسالم بوست (2002/9/9)، مثلاً، أن "عراق ما بعد صدام قد يصبح، برأي خبير الشرق الأوسط بيرنارد لويس، أكثر استعداداً للسلام مع إسرائيل، لنزع أنياب التطرف العربي، بل وحتى لإنضاج قوى ثورية في إيران اليوم". بالمثل، كتب مايكل لَدين في 8/6/ 2002 على صفحات ناشيونال ريفيو على الهواء ("سكوكرفت يرد بقوة") أنه "إذا كانت ثمة أي منطقة استثنائية الجدارة بالتحول إلى مرجل غليان فإنها منطقة الشرق الأوسط اليوم. إذا خضنا الحرب بنجاح، فإننا سنُسقِط أنظمة الإرهاب في العراق، إيران، وسورية، وسنتمكن من إسقاط النظام الملكي السعودي أو من إجباره على التخلي عن خَطِّه الدَّعَوي العالمي القائم على غَسْل أدمغة إرهابيين جدد". وفي 8/19، جادل جوشوا موورافتشيك في النيويورك تايمز ("انتصار الديمقراطية الهادئ") أن "التغيير باتجاه نظامين ديمقراطيين في طهران وبغداد من شأنه أن يطلق إعصارَ تسونامي في طول العالم الإسلامي وعرضه". انظر أيضاً مارينا أوتاوي وآخرين، "سراب ديمقراطي في الشرق الأوسط،" بوليسي بريف عدد 20 (واشنطن، العاصمة: وقف كارنغي للسلام الدولي، تشرين الأول/أكتوبر 2002).

يرى تشارلز كراوثهامر هذا المشروع بوصفه أحد إبداعات السياسي الإسرائيلي ناتان شارانسكي الذي كانت كتاباته ذات تأثير في الرئيس بوش[1]. غير أن شارانسكي هذا لم يكن طائراً يغرد وحده في إسرائيل. كان الإسرائيليون عبر الطيف السياسي من أوله إلى آخره مؤمنين فعلاً بأن من شأن إطاحة صدام أن تُفْضي إلى قلب الشرق الأوسط لمصلحة إسرائيل. قال آلوف بن في هآرتس (17 شباط/فبراير 2003) إن "ضباطاً كباراً في جيش الدفاع الإسرائيلي وأولئك القريبين من رئيس الوزراء آرييل شارون، مثل مستشار الأمن القومي إفرايم هاليفي، يقدمون صورة وردية للمستقبل الرائع الذي تستطيع إسرائيل أن تتوقعه بعد الحرب. إنهم يتصورون نوعاً من تأثير الدومينو، حيث يكون سقوط صدام حسين متبوعاً بسقوط أعداء إسرائيل الآخرين..... وجنباً إلى جنب مع هؤلاء القادة سيخت في الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل"[2].

---

1 – تشارلز كراوتهامر، "السلام عبر الديمقراطية،" واشنطن بوست 6/28/ 2002.

2 – بَنْ، "خلفية". كذلك أفادت النيويورك تايمز بأن هاليفي ألقى خطاباً في ميونيخ في شباط 2003 قال فيه: "من شأن موجات الصدمة المتصاعدة من عراق ما بعد صدام أن تُحْدِثَ آثاراً واسعة النطاق في طهران، دمشق، بل وفي رام الله". تابعت مقالة التايمز كلامها لتقول إن إسرائيل "تأمل في أن تبدأ حجارة الدومينو بالتساقط لحظة الإجهاز على صدام حسين. وحسب هذا الأمل... فإن معشر المعتدلين وفرسان الإصلاح في المنطقة كلها سوف يتشجعون على ممارسة المزيد من الضغط على حكوماتهم، مع عدم استثناء سلطة ياسر عرفات الفلسطينية". بَنَتْ، "إسرائيل تقول إن =

باختصار، كان قادة إسرائيل، المحافظون الجدد، أركان إدارة بوش، جميعاً، يرون الحرب مع العراق خطوة أولى طموحة هادفة إلى إعادة صياغة الشرق الأوسط. وفي زحمة نشوة النصر الأولى بادروا إلى توجيه أنظارهم نحو خصوم إسرائيل الإقليميين الآخرين.

استهداف سورية

قبل آذار/ مارس 2003 لم يحاول قادة إسرائيل دفع إدارة بوش إلى استهداف سورية، لأنهم كانوا شديدي الانشغال بالتحريض على العراق. أما بعد سقوط بغداد منتصف نيسان/ أبريل فقد بادر

= الحرب على العراق ستفيد المنطقة". هذا الموضوع نفسه منعكس في إحدى مقالات الفورورد أوائل آذار/مارس 2003، وهي مقالة جاء فيها أن "الشرائح السياسية، العسكرية، والاقتصادية الإسرائيلية العليا باتت تعتبر الحرب الوشيكة نِعْمة من السماء سوف تتمخض عن قلب الطاولات السياسية والاقتصادية، كما عن انتشال إسرائيل من مستنقعها الراهن". شاليف، "القدس قلعة". أخيراً، خط التفكير هذا كان واضحاً في مقال رئيس الوزراء السابق يهود باراك الذي نوقش من قبل والذي نشرته النيويورك تايمز في 2002/9/4. زعم باراك أن "وضع حد لنظام صدام حسين سيفضي إلى تغيير المشهد الجيو ـ سياسي للعالم العربي". وقد ادعى أن "من شأن عالم عربي بدون صدام حسين أن يمكن عدداً غير قليل من جيل القادة الموشك على تولي السلطة هذا من تبني الانفتاح الديمقراطي التدريجي الذي بات بعضُ الدول الخليجية والأردن متمتعاً به". وزعم باراك أيضاً أن إطاحة صدام سوف تؤدي إلى "فتح ثغرة للتقدم بالنسبة إلى الصراع الإسرائيلي ـ العربي".

شارون وأعوانُه إلى دفع واشنطن باتجاه استهداف دمشق[1]. في السادس عشر من نيسان/ أبريل، مثلاً أجرى شارون ووزير دفاعه شاؤول موفاز مقابلتين مهمتين مع اثنتين من صحف إسرائيل المختلفة. قام شارون، في يديعوت أحرونوت، بدعوة الولايات المتحدة إلى ممارسة ضغط "بالغ الشدة" على سورية[2]. أما موفاز فقال لمعاريف إن "لدينا قائمة طويلة من القضايا التي نفكر بمطالبة السوريين بها، ومن المناسب أن يتم ذلك عبر الأمريكيين"[3]. ومستشار شارون للأمن القومي، إفرايم هاليفي قال في محاضرة بمعهد الوينب إن من المهم بالنسبة إلى الولايات المتحدة أن تكون متشددة مع سورية، وتحدثت الواشنطن بوست عن أن إسرائيل دائبة على "صب الزيت

1 – انظر سيمور إم. هيرش، "الرهان السوري"، نيويوركر، 20/79 (28/7/2003) ص: 32 –36؛ مولي مور، "شارون يطالب الولايات المتحدة بالضغط على سورية بشأن الحركيين،" واشنطن بوست 2003/4/17؛ أوري نير، "القدس تلح على بوش: ليكن حزب الله الهدف التالي!" فورورد 11/4/2003؛ الكاتب نفسه، "مساعد شارون يدعو الولايات المتحدة إلى التحرك ضد سورية". فورورد 2003/4/18؛ مارك بيرلمان، "خلف التحذيرات الموجهة إلى دمشق: إعادة تقويم الأسد الابن". فورورد 2005/4/18؛ دانييل سوبلمان وناتان غوتمان "رئيس الوزراء يلح على الولايات المتحدة طالباً استمرار الضغط على سورية، ويصف الأسد بـ –خَطِر–،" هآرتس 2003/4/15.

2 – مور، "شارون يطالب الولايات المتحدة".

3 – نير، "مساعدات شارون". كذلك انظر كارن دي يونغ "الولايات المتحدة تشدد من تحذير سورية بشأن العراق، قضايا أخرى،".. واشنطن بوست 2003/4/15.

على نار الحملة" ضد سورية عن طريق تزويد الولايات المتحدة بتقارير استخباراتية عن تحركات الرئيس السوري بشار الأسد[1].

ثمة قادة مرموقون من اللوبي أطلقوا الكلام نفسه بعد سقوط

1 – نير، "مساعد شارون".انظر أيضاً بيرلمان "خلف التحذيرات". في محاولاتهم الرامية إلى أبلسة سورية وإغراء الولايات المتحدة بمهاجمتها، ظل الإسرائيليون يقولون إن دمشق تؤوي مسؤولين عراقيين كبار من نظام صدام، بل وأسوأ من ذلك، إنها تخفي أسلحة الدمار الشامل العراقية. بيرلمان، "خلف التحذيرات"؛ لوري كوبانز، "عسكري إسرائيلي بارز يزعم أن العراق كان يمتلك أسلحة نووية"، اسوشيتد برس، نشرة إخبارية، 4/26/ 2004؛ إيرا ستول، "أسلحة صدام للدمار الشامل انتقلت إلى سورية، يقول أحد الإسرائيليين،" نيويورك صن 2005/12/15؛ الكاتب نفسه، "تقول صدى: أسلحة الدمار الشامل العراقية مخبأة في سورية"، نيويورك صن 2006/1/26. في آب/أغسطس 2003، حين قام انتحاري في شاحنة بتفجير مقر الأمم المتحدة في بغداد، أثار سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة معركة دبلوماسية حين أوحى بأن سورية قد وفَّرت الشاحنة، ملمِّحاً إلى أن سورية مسؤولة جزئياً. مايكل كيسي، "سفير إسرائيل يعتقد أن الشاحنة التي استُخدمت في تفجير مقر الأمم المتحدة جاءت من سورية،" اسوشيتد برس، نشرة إخبارية، 2003/8/21؛ "المندوب الإسرائيلي يقحم سورية في تفجير مقر الأمم المتحدة، يوجه صَفْعة،" رويترز، نشرة إخبارية، 2003/8/21. سفير إسرائيل السابق لدى الأمم المتحدة إيتامار رابينوفيتش، قال لسيمور هيرش إنه "تساءل عما إذا سبق للسوريين، نظراً لنوعية المصادر، أن كانوا مطلعين سلفاً على مؤامرة الحادي عشر من أيلول ـ وأخفقوا في تنبيه الولايات المتحدة". هيرش "الرهان السوري". لم يكن ثمة ما يؤكد مثل هذه الاتهامات، غير أن إصرار إسرائيل على توجيهها يبين مدى تَوْقها إلى توريط الولايات المتحدة مع نظام عربي آخر.

بغداد[1]. أعلن ولفوفيتز أنه "لابد من تغيير النظام في سورية"، وقال بيرل لأحد الصحافيين "إننا نستطيع إيصال رسالة قصيرة، رسالة كلمتين [إلى كل من النُّظُم المعادية الأخرى في الشرق الأوسط] :-إنك التالي-[2]. وأوائل نيسان/ أبريل أطلق معهد الوينب

1 – طالما كانت سورية على درئية اللوبي قبل 9/11. في الحقيقة سورية، لا العراق، كانت الهدف الرئيسي في دراسة "القطيعة النظيفة" التي كتبها فايث، بيرل، وورمسر لنتنياهو في 1996. وكان دانيل بايبس ورئيس اللجنة الأمريكية للبنان الحر (USCFL) زياد عبد النور قد تشاركا في تأليف تقرير 2000 أهابا فيه بالولايات المتحدة توظيف التهديدات العسكرية لإجبار سورية على سحب قواتها من لبنان، التخلص من أي أسلحة دمار شامل قد تكون بحوزتها، والتوقف عن دعم الإرهاب. ("إنهاء احتلال سورية للبنان: الدور الأمريكي،" تقرير فريق دراسة الشرق الأوسط، منبر الشرق الأوسط، أيار/مايو 2000). للجنة (USCFL) علاقة نسب وثيقة باللوبي، وتضم عدداً كبيراً من المحافظين الجدد (أبرامز، فايث، لدين، بيرل، وورمسر) بين "أعضاء النواة الرسمية من مسانديها". جوردان غرين، "المحافظون الجدد يحلمون بلبنان،" زَدْ نَتْ 2003/7/23؛ ديفد آر. ساندز، "الصقور يكررون معزوفة حجج الحرب العراقية ضد سورية"، واشنطن تايمز 2003/4/16. باستثناء لدين، جميعاً وقَّعوا تقرير الـ 2000، ومعهم عضو الكونغرس الديمقراطي النيويوركي الموالي لإسرائيل إليوت إنغل الذي هو أحد غلاة الداعمين للجنة المذكورة.

2 – ناتان غوتمان، "بعض كبار الشخصيات الأمريكية يقولون إن سورية تجاوزت الخط الأحمر،" هآرتس 2004/4/14؛ مايكل فْلِنْ، "صقور الحرب: اليمين يستعرض العضلات مع أجندا أمريكية جديدة،" شيكاغو تريبيون 2003/4/13. بالإضافة إلى بيرل وولفوفيتز، دعا جون بولتن من داخل الإدارة بقوة إلى تغيير النظام في سورية. كان قد قال لقادة إسرائيليين قبل شهر من الحرب العراقية إن إدارة بوش كانت ستتعامل مع سورية، =

تقريراً صادراً عن الحزبين يقول إن سورية "يجب ألا تفوِّت الرسالة التي تقول إن البلدان التي تسلك سلوك صدام الطائش، اللامسؤول والمتحدي سوف تتقاسم مصيره"[1]. في 15 نيسان/ أبريل كتب يوسف كلاين هاليفي مادة في اللوس آنجلوس تايمز بعنوان "جاء دور توجيه الأنظار إلى سورية"، فيما قام زيف تشافيتز في اليوم التالي بنشر مقال في النيويورك ديلي نيوز حمل عنوان "لابد أيضاً من تغيير

= جنباً إلى جنباً مع إيران وكوريا الشمالية، بعد سقوط صدام مباشرة. فَلِنْ، "اليمين يستعرض العضلات". وسعياً إلى ذلك الهدف، قيل إن بولتن استعد لإبلاغ الكونغرس منتصف تموز/يوليو أن برامج أسلحة الدمار الشامل السورية وصلت النقطة التي باتت فيها تشكل تهديداً جدياً للاستقرار في الشرق الأوسط ولابد من التعامل معها عاجلاً لا آجلاً. غير أن السي. آي. إيه. (CIA) ووكالات حكومية أخرى رفضت ذلك، قائلة إن تحليل بولتن قد بالغ في تضخيم التهديد السوري. ولذلك، فإن الإدارة لم تسمح لبولتن بتقديم شهادته عن سورية في ذلك الوقت. دوغلاس جهل، "إطلاق تهديدات جديدة بشأن أسلحة دمار شامل سورية،" نيويورك تايمز 7/18/ 2003؛ مارك بيرلمان، "مهاجمة صقر وزارة الخارجية في صفعة الاستخبارات حول سورية،" فورورد 2005/7/25؛ وارن بي. ستروبل وجوناثان لاندي، "معلومات استخباراتية عن سورية مثيرة للجدل الآن،" فيلادلفيا إنكوايَررْ 2003/7/17. ومع ذلك فإن إسكات بولتن لم يطل. ما لبث أن ظهر أمام الكونغرس في أيلول/سبتمبر 2003 ووصف سورية بتهديد متزايد لمصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. ناتان غوتمان، "الولايات المتحدة: سورية تدعم الإرهاب، تطور أسلحة الدمار الشامل،" هآرتس 2003/9/16.

1- مقتبس في روبن رايت، "الولايات المتحدة مصرة على جعل سورية تغيِّر سلوكها،" لوس آنجلوس تايمز 2003/4/14. انظر أيضاً، خطاب مارتن انديك ودنيس روس المتشدد عن سورية في هيرش، "الرهان السوري".

سورية الراعية للإرهاب". وتوخياً لعدم التخلف عن الركب كتب روبرت كابلان في النيو ربيليك بتاريخ 21 نيسان/ أبريل أن الرئيس السوري الأسد تهديد جدي لأمريكا[1].

وهناك في الكابيتول هِلْ (البرلمان) كان عضو الكونغرس الديمقراطي النيويوركي إليوت إنغل قد أعاد إحياء قانون محاسبة سورية واستعادة سيادة لبنان في الثاني عشر من نيسان/أبريل[2]. تضمن القانون تهديداً بفرض عقوبات على سورية إذا لم تنسحب من لبنان، لم تتخل عن أسلحة الدمار الشامل، ولم تتوقف عن دعم الإرهاب، كما تضمن دعوة إلى سورية ولبنان باتخاذ خطوات ملموسة على طريق السلام مع إسرائيل. حظي هذا التشريع بتأييد

1 – لورنس إف. كابلان، "كذبة بيضاء"، نيو ربيليك 21 و2003/4/28. كذلك انظر وليم كرستول ولورنس إف. كابلان، الحرب حول العراق: استبداد صدام ورسالة أمريكا (نيويورك: إنكاونتر بوكس، 2003).

2 – دي يونغ، "الولايات المتحدة تتشدد". مادة في هآرتس ("عضو كونغرس نيويوركي يقول: هل سيوقع بوش القانون للضغط على سورية؟") يوم 19/ 2003/8، قالت إن أنغل كان لتوه قد التقى شارون في مكتبه بالقدس لمدة 90 دقيقة وكان الزعيم الإسرائيلي قد أيد جهود أنغل الضاغطة لاستصدار قانون محاسبة سورية. فيما يخص تفاصيل ذلك القانون، زفي بارئيل، "حل ألغاز السوريين"، هآرتس 2003/7/9؛ "عودة قانون محاسبة سورية،" نيوز ماكس دوت كوم 2003/4/19؛ كلود صالحاني، "قانون محاسبة سورية: السير في الطريق الخطأ إلى دمشق" بوليسي أناليسيس، رقم: 512، معهد كاتو، 2004/3/18. لا غرابة، أن رتشارد بيرل دعا الكونغرس لإقرار قانون محاسبة سورية بعيد قيام أنغل بإعادة تقديم المشروع. ساندز، "الصقور يكررون الحجج".

قوي من جانب اللوبي - ولاسيما الآيباك - وقد "صيغ" حسب رواية الجويش تلغراف إيجنسي "من قِبَل بعض أفضل أصدقاء إسرائيل في الكونغرس"[1]. ظل القانون على نار هادئة لبعض الوقت، لا لشيء إلا لأن إدارة بوش لم تكن متحمسة كثيراً له، غير أن هذا التشريع المعادي لسورية أُقر بأكثرية ساحقة (389 صوتاً مقابل 4 أصوات في مجلس النواب؛ و89 صوتاً مقابل 4 أصوات في مجلس الشيوخ)، وما لبث بوش أن وقَّعَه ليصبح نافذاً في 12 كانون الأول/ ديسمبر 2003 [2].

ومع ذلك فإن إدارة بوش ظلت منقسمة حول مدى حكمة استهداف سورية في هذا الوقت. ومع أن المحافظين الجدد كانوا متلهفين للاشتباك مع دمشق، فإن وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) ووزارة الخارجية بقيتا معارضتين. حتى بعد وضع بوش لتوقيعه على القانون الجديد، أكد الرئيس أنه سيكون بطيئاً في تطبيقه[3].

إن تردُّد بوش قابل للفهم. أولاً، ظلت الحكومة السورية تزود الولايات المتحدة بمعلومات استخباراتية مهمة عن القاعدة منذ 9/11 وسبق لها أيضاً أن نبَّهت واشنطن إلى هجوم إرهابي

1 - رون كامبياس، "بوش الذي كان متردداً، يستعد لاتخاذ موقف متشدد مع سورية". جي. تي. إيه. 2004/3/16.

2 - صالحاني، "قانون محاسبة سورية،" ص:5.

3 - جوليان بورغر، "بوش يعترض على خطة حرب على سورية،" الغارديان 2003/4/15؛ كامبياس، "بوش الذي كان".

مخطط في الخليج[1]. كذلك كانت سورية قد مكَّنتْ محققي السي. آي. إيه. من الوصول إلى محمد زمار المسؤول المزعوم عن تجنيد بعض مختطفي 9/11. كان من شأن استهداف نظام الأسد أن يعرِّض جملة هذه الارتباطات القيِّمة للخطر، وصولاً إلى تقويض الحرب الأكبر على الإرهاب.

ثانياً، لم تكن سورية على علاقات سيئة مع واشنطن قبل حرب العراق (كانت، مثلاً، حتى قد صوتت لصالح القرار 1441 الدولي)، ولم تشكل تهديداً للولايات المتحدة. كان من شأن التشدد مع سورية أن يجعل الولايات المتحدة تبدو دولة سادية متعطشة لإنزال الضربات بالدول العربية. ثالثاً، وأخيراً، كان من شأن وضع سورية على قائمة الأهداف الأمريكية أن يمنح دمشق حافزاً قوياً على إثارة المتاعب في العراق. حتى إذا كان المرء يريد الضغط على سورية فإن الحكمة كانت تقضي بتأجيل الأمر إلى ما بعد الانتهاء من العراق.

ومع ذلك فإن الكونغرس أصر على توجيه الأنظار نحو سورية استجابة، في المقام الأول، لضغوط الرسميين الإسرائيليين

1 – انظر هيرش، "الرهان السوري". من المواد الأخرى التي تناقش المكاسب الأمريكية من التعاون مع سورية سبنسر أكرمان، "تجارة صعبة"، نيو ربليك 2003/1/13؛ سوزان تيلر مارتن، "الخبراء مختلفون حول مخاطر سورية،" سينت بترسبورغ تايمز 2002/11/3؛ صالحاني، "قانون محاسبة سورية"؛ ستفن زونز، "بوش يهاجم سورية بوضوح". آسيا تايمز على الهواء 2005/3/2.

والجماعات الموالية لإسرائيل الشبيهة بالآيباك[1]. لو لم يكن ثمة أي لوبي لما ظهر أي قانون محاسبة سورية إلى الوجود ولبقيت السياسة الأمريكية تجاه دمشق أكثر توافقاً مع مصالح الولايات المتحدة القومية.

التسديد على إيران

يميل الإسرائيليون إلى وصف جميع التهديدات بأقوى العبارات، إلا أن أوساطاً واسعة ترى إيران العدو الأشد خطراً لأنها الخصم الأكثر احتمالاً لحيازة الأسلحة النووية. ما من إسرائيلي إلا ويعد ظهور بلد إسلامي حائز على أسلحة نووية في الشرق الأوسط تهديداً وجودياً. قبل شهر واحد من الحرب العراقية علَّق وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن اليعزر قائلاً: "العراق مشكلة...

1 – اثنتان من المقالات المنشورة في فورورد بعد سقوط بغداد تسلطان الأضواء على القوى المحركة للسياسة الأمريكية الجديدة تجاه سورية. ففي مادة صدرت منتصف نيسان/أبريل لاحظ الكاتب: "ثمة فَوْرة مفاجئة لإنذارات أمريكية موجهة إلى سورية في الأيام الأخيرة تشي بأن واشنطن قد نفَّذَتْ ما ظل الإسرائيليون ومؤيدوهم هنا يلحون عليه منذ أشهر: إعادة تقويم شاملة للحاكم السوري بشار الأسد". بيرلمان "خلف الإنذارات". وبعد بضعة أشهر، في منتصف تموز/ يوليو أشار كاتب آخر إلى أنه "خلال الأشهر العديدة الأخيرة، أقدم موظفون إسرائيليون كبار على تحذير نظرائهم وجمهورهم الأمريكيين من عدم جدارة الأسد بالثقة. رسميون أمريكيون تفهموا الموقف وتحدثت تقارير صحفية عن تدخل عسكري أمريكي في سورية". مارك بيرلمان، "سورية تمهد لنوع من المفاوضات،" فورورد 11/7/ 2003.

ولكن عليك أن تدرك، إذا سألتني رأيي، أن إيران اليوم أخطر من العراق"[1].

بدأ شارون يدفع الولايات المتحدة علناً باتجاه مجابهة إيران في تشرين الثاني/نوفمبر 2002، عِبْرَ الإدلاء بحديث مهم في التايمز (اللندنية)[2]. واصفاً إيران بـ "مركز الإرهاب العالمي"، والساعي إلى حيازة الأسلحة النووية، أعلن شارون أن على إدارة بوش أن تمد ذراعَها القوية إلى إيران في "اليوم التالي" لاجتياح العراق. وأواخر نيسان/أبريل 2002 كتبت هآرتس تقول إن السفير الإسرائيلي في واشنطن يدعو الآن إلى تغيير النظام في إيران[3].

---

1 – مقتبس من آلان سيبرس، "إسرائيل تؤكد التهديد الإيراني". واشنطن بوست 2002/2/7. هذه المقالة التي كتبت مع وصول شارون إلى واشنطن تبين بوضوح أن تل أبيب كانت "تكثف جهودها الرامية إلى تحذير إدارة بوش من أن إيران تشكل خطراً أكبر من النظام العراقي في ظل صدام حسين". انظر أيضاً سيمور هيرش، "اللعبة الإيرانية"، نيويوركر 38/77 (2001/10/3)، ص: 42 –49 ؛ بيتر هيرشبرغ، "خلفية/بيريس يضخم من حجم التهديد الإيراني،" هآرتس 2002/2/5؛ ديفد هيرست "إسرائيل تقحم إيران في خط النار الأمريكية،" الغارديان 2002/2/2؛ "مرة أخرى إسرائيل ترى إيران سبباً للقلق،" هآرتس 2001/5/7.

2 – ستفن فارل، روبرت تومبسون، ودانييل هاس، "طلب إسرائيل: هاجموا إيران في اليوم الذي تنتهي فيه الحرب العراقية!،" التايمز (لندن) 2002/9/5؛ ستفن فارل وروبرت تومبسون، "مقابلة التايمز مع شارون،" المصدر نفسه.

3 – "السفير في الولايات المتحدة يدعو إلى –تغيير النظامين– في إيران ورسورية،" هآرتس 2003/4/28. وبعد عشرة أيام تحدثت النيويورك تايمز عن تنامي قلق واشنطن إزاء طموحات إيران النووية، وعند وجود =

وقال السفير إن إطاحة صدام "لم تكن كافية". وحسب تعبيره "لابد" لأمريكا "من أن تُكمل المهمة. مازلنا نواجه تهديدات كبيرة بالضخامة نفسها صادرة عن سورية، صادرة عن إيران".

كذلك لم يتأخر المحافظون الجدد عن ركب المطالبين بتغيير النظام في طهران[1]. ففي السادس من أيار/مايو عقد معهد الايه.

= "ضغوط إسرائيلية كبيرة تطالب بأخذ هذا الوضع مأخذ الجد". ستفن وايزمان، "هواجس امريكية جديدة حول سعي إيران لامتلاك أسلحة نووية،" نيويورك تايمز 2003/5/8. ثم قام شيمون بيريس بنشر تعليق في الوول ستريت جورنال بتاريخ 6/25 تحت عنوان: "علينا أن نتوحد لنحول دون ظهور سلاح نووي بيد آيات الله". بدا وصفه للتهديد الإيراني شديد الشبه بوصفه السابق للتهديد الصادر عن صدام، بما فيه حتى إشارة طَقْسية إلى العبر المستخلصة من عملية استرضاء [النظام النازي] في ثلاثينيات القرن العشرين. وقد أكد أن من الضروري إفهام إيران بعبارت لا تقبل اللبس أن الولايات المتحدة وإسرائيل لن تطيقا أن تصبح نووية.

1 - أواخر أيار/مايو 2003، أفادت انتر برس سيرفيس بأن "محاولات المحافظين الجدد الرامية الآن إلى لفت انظار الولايات المتحدة إلى -تغيير النظام- في إيران باتت أكثر كثافة بما لا يقاس منذ أوائل أيار/مايو وقد أعطت ثماراً ذات شأن". جيم لوب، "محافظو الولايات المتحدة الجدد يتقدمون بسرعة نحو إيران،" انتر برس سيرفيس 2003/5/28. أوائل حزيران/يونيو تحدثت فورورد عن أن "محافظين جدداً داخل الإدارة وخارجها ظلوا يلحون طالبين تحركاً فعّالاً لدفع عجلة تغيير النظام في طهران. ثمة تقارير عن عمليات سرية محتملة برزت على السطح في الأسابيع الأخيرة". مارك بيرلمان، "فريق إيران في البنتاغون يتعرض للهجوم"، فورورد 2003/6/6. كذلك انظر الكاتب نفسه، " البيت الأبيض عازم على إثارة موضوع الأسلحة النووية الإيرانية في مجلس الأمن =

إي. آي. AEI بالاشتراك مع مؤسسة الدفاع عن الأنظمة الديمقراطية الموالية لإسرائيل ومعهد هدسن ندوة ليوم واحد حول إيران[1]. جميع المحاضرين كانوا شديدي الولاء لإسرائيل وقام بعضهم بدعوة الولايات المتحدة إلى استبدال النظام الإيراني بآخر ديمقراطي. وكما هي العادة كانت ثمة زحمة مقالات بأقلام محافظين جدد بارزين داعية إلى الانقضاض على إيران. فوليم كرستول، مثلاً، كتب في الويكلي ستاندرد يوم 12 أيار/مايو يقول إن "تحرير العراق كان المعركة العظيمة الأولى من أجل مستقبل الشرق الأوسط... أما المعركة العظيمة التالية - نأمل ألا تكون عسكرية - فسوف تكون من أجل إيران"[2].

= الدولي،" فورورد 2003/59/9. الكاتب نفسه، "الجبهة الجديدة توجه الأنظار نحو إطاحة نظام إيران،" فورورد 2003/5/16. أخيراً، نجح اللوبي في بناء علاقات وثيقة مع رضا بهلوي، ابن شاه إيران الراحل. بل وقد قيل إنه (الأخير) عقد اجتماعات مع نتنياهو وشارون. وهذه العلاقة تشبه علاقة اللوبي بأحمد جلبي. خصوصاً، تحرص القوى الموالية لإسرائيل على تدعيم مكانة بهلوي، وهو يوضح، بالمقابل، إنه إذا ما وصل إلى الحكم في إيران فإن الأخيرة ستكون على علاقات جيدة مع إسرائيل. كوني بُرَكْ "لاجئون: كيف يقوم المُبْعَدون الإيرانيون باستغلال التهديد النووي"، نيويوركر، 2/82 (2006/3/6)، ص: 48 -63 ؛ بيرلمان، "جبهة جديدة".

1 - إعلان الدعاية للمؤتمر الذي كان بعنوان "مستقبل إيران: حكم الملالي، الديمقراطية، والحرب على الإرهاب"، موجود على عدد من مواقع الشبكة. كذلك انظر غرين، "المحافظون الجدد يحلمون بلبنان"؛ لوب، "محافظو الولايات المتحدة الجدد يتحركون بسرعة".

2 - وليم كرستول، "بداية النهاية،" ويكلي ستاندارد 2003/2/12. آخرون كتبوا مقالات في الوقت نفسه ومنهم دانييل وباتريك كلوسون، اللذان كتبا في

جاء رد إدارة بوش على ضغوط اللوبي على شكل تكثيف العمل ومضاعفته لوضع حد للبرنامج النووي الإيراني. غير أن واشنطن لم تحقق إلا القليل من النجاح، وتبدو إيران مصممة على امتلاك ترسانة نووية. لذا فإن اللوبي زاد من تكثيف ضغطه على الحكومة الأمريكية، مستخدماً جميع الاستراتيجيات المحفوظة في سجل مسرحياته وألاعيبه[1]. ثمة الآن زحمة من التعليقات والمقالات تنبِّه

= 5/20 للجيروسالم بوست بعنوان "حوِّلوا الضغط نحو إيران!" قاما بدعوة إدارة بوش إلى دعم منظمة إرهابية، تتخذ من العراق مقراً لها وساعية إلى الإطاحة بنظام آيات الله الحاكم في إيران، تعرف باسم مجاهدين خلق. وفي النيو ريبليك ("سعار إيران") يوم 6/9 قال لورنس كابلان إن على الولايات المتحدة أن تزيد من تشددها مع إيران حول برامجها النووية، التي يُخشى أن تكون متقدمة أكثر مما تقر أكثرية صانعي القرار السياسي الأمريكيين. مايكل لدين، وهو أحد كبار الصقور بالنسبة إلى إيران، كتب في الناشيونال ريفيو على الهواء ("الآخرون") في 4/4: "ليس هناك مزيد من الوقت لأي -حلول- دبلوماسية. سيتعين علينا ان نتعامل مع أساتذة الإرهاب هنا والآن. أقله، إيران توفر لنا إمكانية انتصار تاريخي جدير بالتذكر، لأن الشعب الإيراني واضح الكراهية للنظام، وسيبادر بحماسة إلى محاربته، شرط أن تسانده الولايات المتحدة في نضاله العادل".

1 - للاطلاع على ما يؤكد جهود اللوبي المكثفة الرامية إلى حض إدارة بوش على التعامل مع مشكلة إيران النووية، انظر ستيورات آين، "إسرائيل تحث الولايات المتحدة على العمل لوقف الأسلحة النووية الإيرانية،" جويش ويك 2005/10/7؛ إفرايم إنبار، "ضروروات استخدام القوة لمنع إيران من التحول إلى قوة نووية" مركز بيسا (BESA جامعة بار إيلان الإسرائيلية) وجهات نظر (بيرسبكتيفز)؛ مارتن إس. انديك، "تهديد إيران ليس فارغاً،" لوس آنجلوس تايمز 2005/11/1؛ رون كامبياس، "مع نفاد الوقت فيما =

إلى أخطار وشيكة نابعة من إيران نووية، تحذر من أي استرضاء لنظام "إرهابي"، وتلمح بغموض إلى المبادرة الوقائية عند إخفاق الدبلوماسية. يعكف اللوبي أيضاً على دفع الكونغرس إلى إقرار قانون دعم الحرية في إيران الذي سوف يؤدي إلى توسيع دائرة العقوبات المفروضة على إيران. كذلك يظل الرسميون الإسرائيليون دائبين على التحذير من احتمال إقدامهم على خطوات استباقية إذا ما واصلت إيران السير في الطريق النووية، وتلك إشارات يُقصد منها جزئياً إبقاء واشنطن متركزة على هذه القضية.

قد يرى المرء أن تأثير إسرائيل واللوبي في السياسة الأمريكية إزاء إيران لم يكن كبيراً، لأن الولايات المتحدة لديها أسبابها الخاصة التي تدفعها إلى منع إيران من أن تصبح دولة نووية. هذا

= يخص الأسلحة النووية الإيرانية، يبادر الايباك إلى انتقاد مقاربة بوش،" جي. تي. إي. 2005/12/2؛ تشارلز كراوتهامر، "تسلُّح لخوض معركة الهرمجدون الفاصلة في إيران،" واشنطن بوست 2005/12/16؛ دافنا لنزر، "الجماعة الموالية لإسرائيل تنتقد سياسة البيت الأبيض تجاه إيران"، واشنطن بوست 2005/12/25؛ أوري نير، "قانون العقوبات الجديد يتراجع مع تحول الإدارة إلى اعتماد الدبلوماسية،" فورورد 2005/6/10؛ الكاتب نفسه، "جماعات يهودية تدفع باتجاه عقوبات على إيران،" فورورد 9/23/ 2005؛ الكاتب نفسه، "معاونون إسرائيليون يحذرون الولايات المتحدة من رمي الكرة على إيران،" فورورد 2005/12/9؛ مايكل روبن وآخرون، "عن الحرب: على امريكا أن تقطع عشر خطوات لتنتصر في الحرب من أجل العالم الحر"، معهد المشروع الأمريكي، 2005/11/30؛ روان سكاربورو، "إسرائيل تدفع الولايات المتحدة باتجاه حل مشكلة السلاح النووي الإيراني،" واشنطن بوست 2005/2/21.

صحيح جزئياً، غير أن طموحات إيران النووية لا تشكل أي تهديد وجودي بالنسبة إلى الولايات المتحدة. وإذا كانت واشنطن قد استطاعت أن تتعايش مع اتحاد سوفيتي نووي، مع صين نووية، بل وحتى مع كوريا شمالية نووية، فإنها تستطيع، إذن، أن تتعايش أيضاً مع إيران نووية. ذلك هو السبب الذي يدعو اللوبي إلى مواصلة الضغط المطرد على الساسة الأمريكيين لدفعهم إلى مجابهة طهران. صحيح أن عدم وجود اللوبي لم يكن ضماناً لقيام تحالف بين إيران والولايات المتحدة، لكن سياسة الولايات المتحدة كان من شأنها أن تبقى أكثر اعتدالاً والحرب الوقائية بعيدة عن أن تكون خياراً جدياً.

خلاصة

ليس غريباً أن تكون إسرائيل، ومعها مؤيدوها الأمريكيون، راغبة في أن تبادر الولايات المتحدة إلى التعامل مع جميع الأخطار التي تتهدد أمن إسرائيل دونما استثناء. وفي حال نجاح مثل هذه المساعي الرامية إلى صياغة السياسة الأمريكية يتعرض أعداء إسرائيل للضعف أو الإطاحة، يتم إطلاق يد إسرائيل في التعامل مع الفلسطينيين، وتضطلع الولايات المتحدة بالجزء الأكبر من القتال، من الهلاك، من عمليات إعادة البناء، ومن أشكال تسديد الفواتير.

ولكن إسرائيل تبقى، حتى إذا أخفقت الولايات المتحدة في تغيير الشرق الأوسط وتجد نفسها في صراع مع عالم عربي وإسلامي متزايد التطرف، متمتعة بنعمة حماية القوة العظمى

obeikandl.com

الوحيدة في العالم[1]. ليست هذه حصيلة مثالية من وجهة نظر اللوبي، إلا أنها أفضل من أن تنأى واشنطن بنفسها عن إسرائيل، أو تبادر إلى توظيف نفوذها لإجبار إسرائيل على صنع السلام مع الفلسطينيين.

خاتمة

هل يمكن تقليص نفوذ اللوبي؟ يحلو للمرء أن يقول - نعم -، انطلاقاً من الكارثة العراقية، من الحاجة الواضحة إلى إعادة ترميم صورة أمريكا في العالمين العربي والإسلامي، ومن الفضائح الحديثة عن قيام عدد من موظفي الآيباك بتمرير أسرار الحكومة

1 - بعض المحافظين الجدد يصلون حتى إلى الترحيب بمثل هذه الحصيلة. كتب روبرت كيغن ووليم كرستول، مثلاً، في أعقاب 9/11 إن "أفغانستان ستبرهن أنها ليست إلا معركة تمهيدية... فهذه الحرب لن تنتهي في أفغانستان. ستنتشر وتقحم عدداً من البلدان في صراعات ذوات كثافات متفاوتة. ومن شأنها أن تتطلب استخدام القوة العسكرية الأمريكية في أمكنة عديدة في وقت واحد. إنها ستكون شبيهة بصدام الحضارات التي كان الجميع يأملون في تجنبها". "الإعصار الوشيك". ويكلي ستاندرد 29/ 2002/10. انظر أيضاً إليوت إيه. كوهن "الحرب العالمية الرابعة،" وول ستريت جورنال 2001/11/20؛ فيل ماكّومبز، "النار هذه المرة،" واشنطن بوست 2003/4/13؛ نورمان بودهورتز "السبيل إلى كسب الحرب العالمية الرابعة،" كومنتري، شباط/فبراير 2002؛ الكاتب نفسه، "الحرب العالمية الرابعة: كيف بدأت؟ ماذا تعني؟ ولماذا يجب أن نربحها؟"، كومنتري، أيلول/سبتمبر 2004؛ برايان ويتيكر، "الانخراط في لعبة قناني مع صدام حسين،" الغارديان 2002/9/3.

الأمريكية إلى إسرائيل. قد يظن المرء أيضاً أن من شأن رحيل عرفات وانتخاب أبي مازن الأكثر اعتدالاً أن يفضي إلى جعل واشنطن تضغط بحيوية وحياد من أجل التوصل إلى اتفاق سلام. باختصار، ثمة وَفْرة من الأسس التي تمكّن قادة الولايات المتحدة من أن ينؤوا بأنفسهم عن اللوبي وأن يتبنوا سياسة شرق أوسطية أكثر تناغماً مع مصالح الولايات المتحدة الأوسع. وعلى نحو استثنائي، فإن من شأن توظيف النفوذ الأمريكي من أجل بلوغ سلام عادل بين إسرائيل والفلسطينيين أن يساعد على خدمة الأهداف الأكبر المتمثلة بمكافحة التطرف ودفع عجلة الديمقراطية في الشرق الأوسط إلى الأمام.

إلا أن ذلك لن يحصل في أي مستقبل قريب. ليس ثمة في عالم اللوبيات أي معارضين جديين للآيباك وحلفائه (بمن فيهم الصهاينة المسيحيون). يعلم أولئك (الآيباك وحلفاؤه) أن الدفاع عن إسرائيل بات اليوم أكثر صعوبة، فيأتي ردهم على شكل توسيع فعالياتهم ومضاعفة أعداد العاملين في مؤسساتهم[1]. يضاف إلى ذلك أن الساسة الأمريكيين يظلّون شديدي الحساسية إزاء حملات التبرعات وغيرها من أشكال الضغط السياسي ومن المحتمل أن تبقى منابر إعلامية رئيسية متعاطفة مع إسرائيل بصرف النظر عما تقترفه الأخيرة من أفعال.

1 – رون كامبياس، "بعد إعادة البناء، يخطط ايباك للتركيز على طيف أوسع من القضايا". جي. تي. إيه. 2005/9/26.

openkanal.com

هذا الوضع مثير لقدر عميق من القلق، لأن نفوذ اللوبي يُحْدِث سلسلة من المصاعب على عدد غير قليل من الجبهات. إنه يزيد من خطر الإرهاب الذي تواجهه سائر الدول - بما فيها حليفات أمريكا الأوربيات. وعن طريق منع قادة الولايات المتحدة من ممارسة الضغط على إسرائيل من أجل تحقيق السلام، استطاع اللوبي أن يجعل إنهاء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني مستحيلاً. إن هذا الوضع يوفر للمتطرفين أداة تعبئة قوية، يوسع دائرة الإرهابيين المحتملين والمتعاطفين معهم، ويساهم في ترسيخ التطرف الإسلامي في طول العالم وعرضه.

علاوة، قد تتمخض حملةُ اللوبي الهادفة إلى تغيير النظامين في إيران وسورية عن دفع الولايات المتحدة إلى مهاجمة هذين البلدين، مع ترتب نتائج كارثية محتملة. لسنا بحاجة إلى عراق آخر. في الحدود الدنيا، نجد أن عداء اللوبي لهذين البلدين يجعل التماس تعاونهما الضروري ضرورة قصوى في محاربة القاعدة والتمرد العراقي أمراً بالغ الصعوبة بالنسبة إلى واشنطن.

إن للمسألة بعداً أخلاقياً أيضاً. فسبب تحوُّل الولايات المتحدة إلى أداة فعلية للتوسع الإسرائيلي في الأراضي المحتلة، جاعلاً إياها متواطئة في سلسلة الجرائم المقترفة ضد الفلسطينيين، يعود إلى اللوبي. ومثل هذا الوضع يقطع الطريق على جهود واشنطن الرامية إلى تعزيز الديمقراطية في الخارج، ويجعلها تبدو منافقة حين تطالب الدول الأخرى باحترام حقوق الإنسان. كذلك تبدو

جهود الولايات المتحدة الرامية إلى الحد من الانتشار النووي متَّصفة بقدر مساوٍ من النفاق لأنها تسلّم بترسانة إسرائيل النووية التي تشجع إيران وأطرافاً أخرى على السعي لامتلاك قدرات مشابهة.

يضاف إلى ذلك أن حملة اللوبي الهادفة إلى خَنْق النقاش حول إسرائيل ظاهرة مرضية بالنسبة إلى الديمقراطية. فإسكات المتشككين عبر تنظيم القوائم السوداء وعمليات المقاطعة - أو من خلال وَصْم المنتقدين باللاسامية - انتهاك لمبدأ الحوار المفتوح الذي يشكل ركيزة الديمقراطية. إن عجز الكونغرس الأمريكي عن إجراء أي نقاش حقيقي وأصيل لهذه القضايا الحيوية يؤدي إلى شل عملية التداول الديمقراطي الحصيف كلها. ينبغي أن يكون مؤيدو إسرائيل أحراراً في طرح وجهات نظرهم وفي تحدي أولئك الذين يعارضونهم. أما محاولات خنق الحوار عن طريق التخويف فيجب شجبها بقوة ودون تردد من جانب أولئك الذين يؤمنون بالكلام الحر والنقاش المفتوح حول القضايا العامة المهمة.

أخيراً، كان نفوذ اللوبي وبالاً على إسرائيل. إن قدرة هذا اللوبي على إقناع واشنطن بدعم برنامج توسعي أبقت إسرائيل عازفة عن الإمساك بعدد من الفرص - بما فيها معاهدة سلام مع سورية وتطبيق فوري وكامل لاتفاقات أوسلو - التي كان من شأنها إنقاذ عدد كبير من الأرواح الإسرائيلية وتقليص صفوف المتطرفين الإسرائيليين. من المؤكد أن حرمان الفلسطينيين من حقوقهم السياسة المشروعة لم يجعل إسرائيل أكثر أمناً، ولم تفد الحملة الطويلة القائمة على قتل وتهميش جيل كامل من القادة

الفلسطينيين إلا في تقوية وتمكين جماعات متطرفة مثل حماس، وفي اختزال عدد القادة الفلسطينيين المستعدين لقبول تسوية عادلة والقادرين على إنجاح مثل هذه التسوية. يتمخض هذا المسار عن الشبح المرعب المتمثل باحتمال تحول إسرائيل ذات يوم إلى وضعية الكيان المنبوذ للدول العنصرية الشبيهة بجنوب أفريقيا. لعل المفارقة هي أن وضع إسرائيل ربما كان أفضل لو كان اللوبي أضعف وكانت السياسة الأمريكية أكثر توازناً وحياداً.

غير أن هناك بصيص أمل. وعلى الرغم من أن اللوبي يبقى قوة كبيرة، فإن إخفاء التأثيرات السلبية لنفوذه بات متزايد الصعوبة. صحيح أن الدول القوية تستطيع مواصلة سياسات خاطئة لبعض الوقت، ولكن الواقع لا يمكن تجاهله إلى الأبد. ليس المطلوب، إذن، سوى نقاش صريح لنفوذ اللوبي وحوار أكثر انفتاحاً حول مصالح الولايات المتحدة في هذه المنطقة الحيوية. لاشك أن سلامة إسرائيل، لا احتلالَها المستمر للضفة الغربية أو برنامجَها الإقليمي الأوسع، هي إحدى تلك المصالح. سيفضي الحوار الحر إلى الكشف عن حدود الموقف الاستراتيجي والأخلاقي المؤيد للدعم الأمريكي الأحادي المنحاز وإلى نقل الولايات المتحدة إلى موقع أكثر انسجاماً مع مصلحتها القومية الخاصة، مع مصالح الدول الأخرى في المنطقة، ومع مصالح إسرائيل بعيدة المدى في الوقت نفسه.

*****

obeikandl.com